

قيم العقيدة الإسلامية من خلال كتاب "الممتاز في التربية الإسلامية" للخامس ابتدائي

رضوان صفار¹

مقدمة

لا شك أن القيم هي عنوان نجاح الحضارات وجسر العبور إلى صفوف المجتمعات الراقية، بل هي نخاع مؤشرات مستقبل الأمم، وإذا كانت القيم في مجملها تشكل لباس المجتمع الإسلامي، فإن قيم العقيدة الإسلامية هي التاج على رأس هذا المجتمع، وما دامت القيم عموماً، والعقدية منها على وجه الخصوص بهذه المنزلة العالية، والدرجة الرفيعة، والأهمية البالغة، فإن النظام التربوي المغربي اهتدى في المنظومة الجديدة للتربية والتكوين إلى التربية على القيم كمدخل أساس ومركز ثابت عبر المناهج التعليمية، سعياً منه إلى استدامتها وتعزيزها فكرياً وممارسة.

وإذا كانت الوثائق الصادرة عن الوزارة تدعو إلى تفعيل التربية على قيم العقيدة الإسلامية، فما مدى انسجام مضامين مقرر التربية الإسلامية مع روح هذه القيم؟ وهل الأنشطة الواردة في مرحلة التقويم كافية للقياس الصحيح لاكتساب المتعلم لهذه القيم علماً وعملاً؟

1. مفاهيم أساسية

مفهوم القيم

لقد تعددت الحدود اللغوية للقيم، وتنوعت بتنوع القواميس والمعاجم، وأوردُ منها تمثيلاً لا حصراً ما يلي: القيم لغة ج قيمة، وقيمة الشيء ثمنه²، وذهب الفيروز آبادي إلى "أن القيمة بالكسر واحدة القيم، وقومت السلعة واستقمته: ثمنته، وقومته: عدلته، فهو قويم ومستقيم"³. وقال ابن فارس في معجم

¹باحث في الدراسات الإسلامية، سلك الدكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس - جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب.

²ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة (قوم)، الجزء 12، 2003، ص 224.

³الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 2، باب الميم، فصل القاف، 1978، ص 1487.

مقاييس اللغة: "القاف والواو والميم: أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة من الناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم"¹.

أما القيم اصطلاحاً، فقد تعددت تعاريفها وتنوعت بتنوع الحقول المعرفية التي تشغل عليها، وباختلاف جذورها وامتداداتها الفلسفية والنفسية والاجتماعية، أما في الحقل التربوي، فقد ورد في تعريف معجم علوم التربية للقيم بأنها: "مجموع معتقدات واختيارات وأفكار تمثل أسلوب تصرف الشخص ومواقفه وآرائه، وتحديد مدى ارتباطه بجماعته"²، وعرفها ماجد سرحان بصيغة الجمع حيث قال: "القيم محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة بين هذين الحدين"³. كما عرفها الأستاذ الصديق العماري بقوله: "الحكم الذي يصدره الفرد على موضوع ما، مُستندا إلى مجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يوجد فيه، وهي إذن أحكام اجتماعية خارجة عن الشخص أو هي مجرد اتفاق اجتماعي على أن نتصرف بشكل معين لفظياً وأدائياً، وهذه الأحكام ليست من مكونات السلوك وليست دافعة له إلا أنها تُسهم في تشكيله"⁴.

ولعل من التعاريف الأكثر إجرائية، والذي يرتبط بشكل وثيق بما نحن بصدده، ما جاء في مقال لأحمد مهدي عبد الحليم، حيث قال فيه بأن مفهوم القيمة يشير إلى "حالة عقلية ووجدانية، يمكن تعرفها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات، هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك العملي، وتدفع الحالة العقلية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفي بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطاً إنسانياً، يتسق فيه الفكر والقول والفعل، يربحه على ما عده من أنشطة بديلة، فيستغرق فيه، ويسعد به، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية"⁵. يبدو أن لهذا التعريف الأخير ارتباطاً وثيقاً بتدريس القيم، فهو يحدد لنا الجانب المخاطب في

¹ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، ج5، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سورية، مادة (قوم)، 1979، ص 43.

² الفرائي (عبد اللطيف)، وآخرون، معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، العددان 9 و10، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994، ص 359.

³ الكيلاني (ماجد عرسان)، فلسفة التربية الإسلامية، دار المنارة، وجدة، ط1، 1987، ص 992.

⁴ الصادقي العماري (الصديق)، التربية والتنمية وتحديات المستقبل: مقارنة سوسيولوجية، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2015 م، ص ص 107-108.

⁵ زيادة رضوان، و كيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2010 م، ص 22.

المتعلم، كما يبين لنا صور وتجليات القيم على مستوى الأفراد والمجتمعات، وهذه التجليات هي التي ترشدنا إلى تقويم مختلف القيم، والحكم على المتعلم من حيث النجاح والإخفاق في اكتسابها.

مفهوم العقيدة

العقيدة لغة: قال ابن فارس رحمه الله: "العين والقاف والداد أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. من ذلك عقْد البناء، والجمع أَعْقَاد وعقود. قال الخليل: ولم أسمع له فعلا، ولو قيل عقْد تعقيدا، أي بنى عقْدا لجاز. وعقدتُ الحبل أَعقده عقدا، وقد انعقد، وتلك هي العقدة"¹، فالمعنى اللغوي للعقيدة - كما أشار ابن فارس - يدور حول الشد والثوق وما في معناها من ربط وإبرام وإحكام وغير ذلك من المعاني التي تعود إلى نفس الأصل. أما العقيدة اصطلاحا: إن المتبع للتأليف في المعتقد والإيمان لا يجد للمتقدمين أثرا في تسمية ما تعلق بالاعتقاد عقيدة، بينما كانوا يتناولون المباحث العقيدية بمسميات أخرى كأصول الدين والإيمان والسنة والشريعة وغيرها من الأسماء، إلى أن بدأت المؤلفات تتدفق مع المتأخرين باسم "العقيدة"، وقد ظهرت بداية هذه التسمية مع الطحاوي رحمه الله، وقد ذكر هذا الدكتور خالد عباس عبد الله في سياق حديثه عن التصنيف في العقيدة حيث قال: "كتاب العقيدة الطحاوية الذي كان بداية بدعة المصطلح عند المتأخرين"².

للعقيدة اصطلاحا تعريفات كثيرة أذكر منها ما ذهب إليه الشيخ الفوزان بقوله: "العقيدة شرعا هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وتسمى هذه أركان الإيمان"³، وعُرِّفت العقيدة أيضا ب: "الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، فالعقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب من توحيد وطاعة، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أو عملية"⁴، كما عرّفها الزبيدي بقوله: "العقيدة بمعنى المعتقد هي ما يدين به الإنسان من تصور لما وراء عالم الشهادة كسائل الألوهية والعوالم الغيبية وبدء الكون ومصيره ونحوه، وقد شاع مصطلح العقيدة في دراسات علماء المسلمين على المباحث المتعلقة بالله من حيث وجوده وربوبيته وألوهيته وأسمؤه وصفاته والأنبياء

¹ أبو الحسين (أحمد بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، باب العين والفاء وما يماثلها، الجزء الرابع، 1979، ص 86.

² خالد عباس (عبد الله)، أوهام مصطلح العقيدة وحقائق الإيمان دراسة تأصيلية، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، السودان، 2018، ص 45/44.

³ ابن الفوزان (صالح)، عقيدة التوحيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط1، 1434هـ، ص 10.

⁴ ناصر (عبد الكريم العقل)، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط2، 1412هـ، ص 5.

ورسالاتهم والكتب المنزلة والسمعيات كالملائكة والقدر والحياة البرزخية والأخرية وأمثالها، وقد غلب هذا الاسم الأسماء الأخرى كالإيمان والتوحيد وأصول الدين والفقه الأكبر ونحوه¹، وعزفها أبو بكر الجزائري قائلا: "العقيدة هي مجموعة من القضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، يعتقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها ولا يرى خلافها أنه يصلح أو يكون أبدا، وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به"².

و يتضح من خلال ما مضى أن المعنى الاصطلاحي للعقيدة يدور حول ما يتدين به الإنسان من إيمان جازم بالغيبيات المسلمة عقلا وسمعا وفطرة، وقد ألفت فيها العلماء مصنفات عديدة، بعضها يحمل اسم "العقيدة" وبعضها يحمل أسماء أخرى لا تخرج عن الإطار الاعتقادي.

2. التربية على القيم في النظام التربوي المغربي

لا شك أن القيم هي عنوان سعادة المسلم والجسر الذي يعبرُ عليه إلى برِّ الأمان، بل هي نخاع هويته وبريد نجاته في الدنيا والآخرة، وما دامت القيم بهذه المنزلة العالية والدرجة الرفيعة والأهمية البالغة، فحري بالمجتمعات التي تروم تنشئة أبنائها وفق المقومات القيمية المتينة أن تنتقي المحضن المُجدي والمرتكز الأساسي لاستدماجها وتعزيزها وترسيخها فكريا وممارسة، وما دامت التربية مفتاحا مُسعفا لبلوغ هذه الغاية، فقد تم وضع المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم بناء على هذه الفلسفة من خلال تحديد المواصفات الكبرى لمتعلم من خلال الاختيارات والتوجيهات النازمة للمناهج الدراسي المغربي. وقد اعتنى النظام التربوي المغربي بالقيم عناية خاصة، وعلى رأسها قيم العقيدة الإسلامية، حيث سرد الكتاب الأبيض هذه القيم مصدرا إياها بالعقيدة الإسلامية بقوله: "انطلاقا من القيم التي تم إعلانها كمرتكزات ثابتة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والمتمثلة في: قيم العقيدة الإسلامية-قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية-قيم المواطنة-قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية"³.

إذا عدنا إلى الوثيقة المنهاجية الرئيسية، والفلسفة المؤطرة للفعل التربوي والمنظومة التربوية المغربية المتمثلة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، نجد الانطلاق من المجال القيمي المنبثق من

¹ بن زين الزبيدي (عبد الرحمن)، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، مركز الدراسات الأعلام، الرياض، ط1، 1998، ص 16.

² الجزائري (أبو بكر جابر)، عقيدة المؤمن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، بدون تاريخ، ص12.

³ وزارة التربية الوطنية، الكتاب الأبيض، الجزء1، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية، المغرب، 2002، ص 12.

العقيدة الإسلامية واضحاً، ففي المرتكزات التي قدمتها هذه الوثيقة نجد ما يلي: "يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتمسك بالاعتدال والتسامح..."¹. لقد اهتم النظام التربوي المغربي بالتربية على القيم اهتماماً كبيراً، ويبدو ذلك واضحاً من خلال الفلسفة التربوية المشبوهة في الوثائق الرسمية، بحيث نجد الميثاق الوطني للتربية والتكوين يدعو إلى القيم من خلال المرتكزات الأربعة المتمثلة في قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان، كما نجد الكتاب الأبيض الذي يشكل الوجه الإجرائي للميثاق يتحدث عن مواصفات المتعلمين، ذكراً فيها مجموعة من القيم التي ينبغي الحرص على ترسيخها للمتعلم تحقيقاً للغايات والمرامي التي يسعى إليها النظام التربوي من خلال المضامين المبرمجة في مختلف الأسلاك التعليمية.

وبالإضافة إلى الرسائل والتوجيهات القوية المتضمنة في الميثاق والكتاب الأبيض بصدده موضوع التركيز على القيم، نجد الوزارة الوصية حريصة على تنزيل الفلسفة إلى الواقع من خلال برجة المواضيع الكفيلة بترجمة القيم على الواقع السلوكي للمتعلم، ولم تقف عند حد البرمجة، بل أصدرت مذكرات تدعو إلى جعل أنشطة الحياة المدرسية خادمة لهذه الغاية، ولعل أهمها المذكرة الوزارية رقم 87، يقول الأستاذ الصادقي العماري بهذا الخصوص: "وفي هذا الإطار صدرت المذكرة الوزارية رقم 87 التي تدعو كافة الفاعلين التربويين إلى تفعيل أدوار الحياة المدرسية لدعم مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين، فركزت على تثبيت القيم الأساسية لدى التلميذ(ة)"².

3. قيم العقيدة الإسلامية من خلال "الممتاز في التربية الإسلامية للمستوى الخامس ابتدائي"

إن القيم بمختلف تصنيفاتها ومجالاتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيم العقدية، بل تعتبر هذه الأخيرة النواة التي تتفرع عنها القيم بشتى أنواعها، سواء كانت هذه القيم شخصية أو اجتماعية أو غيرها من القيم في ارتباطها بزاوية معينة، ومادام النظام التربوي المغربي قد خصص حيزاً مهماً للتربية على القيم، جاعلاً العقدية منها على رأس القائمة، وحدد المواصفات المرتقبة على ضوءها، فمن المفترض أن تكون المقررات الدراسية جسراً متيناً ومسلكاً قوياً لتدريس القيم عموماً والقيم العقدية على وجه الخصوص من أجل ترجمة فلسفة الوزارة إلى سلوك عملي مبني على القرآن الكريم والأحاديث النبوية المتضمنة في هذه

¹وزارة التربية الوطنية، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المغرب، أكتوبر 1999، ص 8.

²الصادقي العماري(الصدیق)، التربية والتنمية وتحديات المستقبل: مقاربة سوسولوجية، ص 119.

المقررات. وبناء على هذه التوطئة، يمكننا طرح مجموعة من الأسئلة قصد التحقق من مدى قدرة المقرر الدراسي على ترجمة حقيقية للقيم العقدية إلى سلوك عملي يومي يتحرك بين أسوار المدارس وفي البيوت والشوارع، ولعل أهم هذه الأسئلة وأبرزها ما يلي:

- ما مدى فعالية الوضعيات المدرجة في كتاب الممتاز في التربية الإسلامية، بالمستوى الخامس ابتدائي في ترسيخ قيم العقيدة الإسلامية؟

- إلى أي حد يتم ربط مختلف القيم بالقيم العقدية في هذا المرجع؟

- ما هي المقترحات التي يمكنها الإسهام في تجويد هذا المرجع لتحقيق الأهداف المرجوة والمتعلقة بالبعد القيمي العقدي لدى المتعلم؟

إن كتاب "الممتاز في التربية الإسلامية" المبرمج في المستوى الخامس ابتدائي يضم في ثناياه قيما عديدة، وذلك في مكوّن العقيدة، بل في مدخل التزكية عموما، كما توجد فيه إشارات كثيرة إلى القيم العقدية في جلّ المداخل، كمدخل القسط والاقتداء والاستجابة، إلا أن هناك مجموعة من الملاحظات أطرحتها على المستويات الآتية:

الوضعيات التمهيديّة

إن المتصفح للكتاب المذكور أعلاه يجد غياب الوضعيات التمهيديّة في مدخل التزكية الذي يتكون من العقيدة والقرآن الكريم، في حين أن مداخل القسط والحكمة والاستجابة تفتح دائما بوضعيات واقعية تجلي التصور للمتعلم منذ بداية الدرس، وتعطيه النصوص القرآنية والحديثية التي تساعده في الإجابة عن السؤال أو الأسئلة التي تطرحها الوضعية الاستكشافية، فدروس مدخل التزكية، سواء تعلق الأمر بمكوّن العقيدة أو مكوّن القرآن الذي يحمل غالبا في طياته قيما عقديّة، أولى بأن يُصدّر بمثل هذه الوضعيات من غيره، لأن الدرس العقدي يغلب عليه طابع التجريد، لذلك ينبغي تقريب معانيه من خلال وضعيات محفزة واقعية تجعل المتعلم ينخرط في مناقشتها والسعي إلى الإجابة عنها بكل رغبة وحماس، ففي درس القرآن الكريم، سورة القيامة، الآيات من 1 إلى 20 من الكتاب المدرسي، نلاحظ أن الدرس صُدّر بالنص القرآني مباشرة، في حين أنه يمكننا أن نفتح بوضعية محفزة، مستنهضة لفضول المتعلمين للمناقشة وبناء الدرس، وتجلي للأستاذ تصورات المتعلمين ومعارفهم القبلية وأخطائهم، من قبيل:

أحد تلميذ يعتقد عدم قدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان وبعثه للحساب، بالتالي فهو يرى أننا لا نحاسب على أعمالنا التي قمنا بها في الحياة الدنيا يوم القيامة، وينشر ذلك في صفوف المتعلمين، بم تنصح أحمد ومن يدعوهم إلى عقيدته في القدرة الإلهية؟

ثم نذيل النص القرآني بأسئلة من قبيل:

- ما رأيكم في مُعتقد أحمد؟

- استخرج من النص القرآني الآية الدالة على قدرة الله تعالى على بعث الناس من قبورهم.

- من يستحضر آية من سورة الطارق تدل على قدرة الله على إرجاع الناس إليه للحساب؟

وهكذا نكون قد أثرتنا انتباه المتعلم وجعلناه يستثمر الدعامات الموجودة بين يديه، ويستدعي مكتسباته السابقة من أجل عرض تمثلاته والإفصاح عن معارفه السابقة تجاه الموضوع، ثم ينتقل بتوجيه من الأستاذ والزملاء إلى التمثل والاعتقاد الصحيح للقيمة العقيدية المتمثلة في "قدرة الله تعالى" التي يمكن ترجمتها إلى سلوك عملي في حياته من خلال الأعمال الصالحة التي تنسجم مع عقيدة البعث، والمرتبطة بالقدرة الإلهية.

إن ما أشرتُ إليه فيما يتعلق بغياب الوضعيات التعليمية في مقدمات دروس التزكية ينسحب على جميع الدروس المبرمجة في المرجع المذكور أعلاه، ولا شك أن هذا مخالف للإصلاح البيداغوجي والتوجيهات الرسمية التي تهدف السياسة التعليمية المغربية إلى تحقيقها، هذا بالإضافة إلى كونه مخالفا للتربية العصرية المفيدة. فقد حرص السادة المشرفون التربويون، وكذا بعض الأساتذة على تأكيد أهمية التدريس بالوضعيات، باعتباره التطبيق العملي لمقاربة التدريس بالكفايات، ودافع ويدافع أغلبهم عن الموضوع بشراسة؛ لأن الأمر من صميم التوجيهات الرسمية التي ينبغي العمل بها؛ لأن لها خلفيات نظرية وعلمية رصينة، لذلك فهم لا يألون جهداً في حث السادة الأساتذة على الالتزام بمقاربة التدريس بالوضعيات لأسباب متعددة؛ منها بالأساس أن الوضعيات تربط المتعلم بالواقع، وتجعل للتعلمات معنى، وتجعل المتعلمين في قلب العملية التعليمية التعلّمية، ومن المسوغات كذلك الواردة في هذا الصدد (وهي الأهم) أن الأمر عبارة عن توجيهة رسمية يفترض أنها مؤسسة على علم ونظر وخبرة وتجارب؛ كما تنص على ذلك الوثائق الرسمية.

العلاقة بين القيم العقدية وغيرها من القيم الأخرى:

لقد جاء في الكتاب الأبيض، في سياق تعداده للقيم كمرتكزات ثابتة، أن قيم العقيدة الإسلامية تتربع على كرسي صدارة القيم المُعلن عنها، لذلك فالمنطق يقتضي أن يتم تعريف القيم في مقرر التربية الإسلامية بشكل تكاملي ومنسجم ونسقي، بحيث يتم استحضار القيم العقدية خلال تمرير القيم الأخرى، وذلك بتتبع المداخل الممكن استتمرها في بث الجانب العقدي بالموازاة مع الجانب الأخلاقي والتعبدي وغيره من الجوانب الأخرى، كما ينبغي السعي إلى استهداف البُعد السلوكي عند تمرير القيم الأخلاقية، وهكذا يتم التعاضد والتكامل بين القيم، وتجاوز عقلية الجزر المتناثرة التي تحياها منظومة القيم.

إن كتاب "المتاز في التربية الإسلامية" لمستوى الخامس غني بالقيم، وفاءً لما جاء في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ولما جاء في الكتاب الأبيض، لكن الملاحظ في فقرات الدروس أن القيم يتم تقديمها منفكة ومنفصلة عن بعضها، في حين أن القيم ينبغي أن تقدم في سياق تكاملي، مع الأخذ بعين الاعتبار مركزية القيم العقدية، فإذا أخذنا على سبيل المثال درس "لا أعش"، فإننا نجد الأهداف مسطرة كما يلي:

- "أن أتعرف معنى الغش وأضراره انطلاقاً من القرآن الكريم وقصة صبرة الطعام.

- أن أقتنع بأضرار الغش وعواقبه.

- أن أتجنب الغش في الامتحانات وفي مختلف المعاملات".

نلاحظ من خلال الأهداف المُسطرة في هذا الدرس أنها تركز على الجانب السلوكي، في حين أنه ينبغي تتبع القيم العقدية التي يمكن تمريرها للمتعلم، ف يتم تقديمها إلى جانب القيمة السلوكية المستهدفة أصالة، فقيمة الصدق والأمانة التي تعتبر قطب رحي هذا الدرس، هي في الحقيقة مُتفرعة عن قيمة عقدية مهمة، وهي قيمة "المراقبة"، وعليه، ينبغي تقديم القيمتين معاً، مع التركيز على وجه الارتباط بينهما. وإذا نظرنا في درس "أخلص في صلاتي"، نجد واضح البرنامج يركز على المستوى السلوكي بشكل كبير، وذلك يبدو جلياً من خلال التركيز على علامات الإخلاص في الصلاة كالطمأنينة في الأفعال وعدم الالتفات وغيرها ما يدل على إخلاص المصلي في صلاته، في حين ينبغي أن يُشار إلى منزلة المُثل بين يدي الله تعالى ومراقبته، فالمصلي عندما يقول: "الحمد لله رب العالمين" يقول الله تعالى: "حمدني

¹ مجموعة من المؤلفين، المتاز في التربية الإسلامية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2017، ص 28.

عبدى"، إذن فالقيمة العقدية المتمثلة في المراقبة حاضرة في المقرر بقوة، لكن لم يُلتفت إليها على مستوى فقرات الدرس.

القيم العقدية في الأهداف

إن الدارس لكتاب "المتاز في التربية الإسلامية" للمستوى الخامس يلمس بجلاء ضعف استحضار الجانب الوجداني في الدرس العقدي، ففي درس العقيدة الموسوم بـ: "أومن بملائكة الله" مثلا، يلاحظ أنه تم الاقتصار على الجانب المعرفي بشكل كبير، فهو يستهدف تعرف أسماء بعض الملائكة ومهامهم، ويلامس بشكل سطحي الجانب الوجداني في مسألة تعظيم الملائكة، في حين أنه ينبغي التركيز في هذا الدرس على قيمة عقدية مهمة، وهي مراقبة الله تعالى في أقوالنا وأعمالنا من خلال التركيز على وظيفة الملئكين المكلفين بكتابة السيئات والحسنات، الشيء الذي يجعل المتعلم يستشعر تواجد ملك عن يمينه وآخر عن يساره، فتترسخ لديه المراقبة الربانية من خلال استحضاره لإحصاء الملائكة لأعمال بني آدم.

إننا نجد كثيرا من الدروس في مكوّن العقيدة تخدم الجانب المعرفي بالأساس، بحيث أصبحنا وكأنا أمام أحداث تاريخية تستوجب الحفظ دون الوقوف على القيم والمواقف، الشيء الذي يترك قائمة القيم العقدية حبيسة الوثائق التنظيرية، في حين أن هذه القيم متوافرة في نصوص الانطلاق، ولا ينقصها إلا التصريف بطريقة تخاطب الوجدان وتساهم في بناء صور الإيمان.

تقويم القيم العقدية

إننا نعيش هوّة واسعة بين الرصيد المعرفي القيمي للمتعلم والاستجابات السلوكية في واقعه العملي، بحيث نجد مثلا المتعلم ضابطا لقيمة المراقبة الإلهية، ورغم ذلك نراه يغش في الامتحانات بكل ما أوتي من قوة، بل يتفنن في إبداع صور متعددة لهذه الجريمة، كما نجد المتعلم مستوعبا لقدرة الله تعالى التي تستلزم تواضعه، ورغم ذلك نجده مختالا متكبرا على زملائه، والأمثلة كثيرة متدفقة على عدم الانسجام بين الجانب النظري الذي تلقاه المتعلم داخل الفصل وبين ممارساته السلوكية اليومية. فإن القيم العقدية ليست شعارا تردده الألسنة، وإنما الغاية منها أن يحولها المتعلم إلى واقع عملي معيش، فيستصحب معه هذه القيم حيثما حلّ وارتحل، لذلك لا بد من تقويم البعد القيمي العقدي لدى التلميذ تحقّقا وإخفاقا، لكن الإشكال هو اختلاف الميزان التقويمي للقيم عن باقي موازين قياس الموارد الأخرى، لاسيا أن الجانب الوجداني لا يُحكّم عليه من خلال استجابة واحدة للمتعلم، يقول صلاح الدين محمود في هذا السياق: "فللحصول على معلومات متسقة عن خاصية وجدانية معينة، فإن الاستدلال عليها

من السلوك يصعب إجراؤه من استجابة واحدة للتعلم، بل يتطلب الحصول على استجابات متعددة متماثلة بشكل ما، أو ملاحظة سلوكه في مواقف متنوعة ومتشابهة¹.

استنتاجات

لقد خلصتُ إلى مجموعة من الاستنتاجات وأنا أتجول في رياض وفقرات هذا البحث، حيث كانت كالتالي:

- عناية النظام التعليمي المغربي بالقيم عموماً، والقيم العقديّة خصوصاً، وهذه العناية تشهد تفاوتاً بين التنظير والتنزيل، حيث إن الوثائق المنهاجية الرسمية كالميثاق الوطني للتربية والتكوين والكتاب الأبيض والرؤية الإستراتيجية تدعو إلى الاشتغال على القيم في مواضع كثيرة من فقراتها، لكن الجانب التنزيلى عرف إشكالات على مستوى تمرير هذه القيم وكذا تقويمها.
- بالرجوع إلى مقرر التربية الإسلامية المذكور أعلاه، نجده يتعامل مع الدروس الحاملة للقيم، وخاصة العقديّة منها بطريقة لا تختلف كثيراً عن باقي الدروس ذات الطابع المعرفي.
- توجد نصوص انطلاق حافلة بالقيم العقديّة، لكنها لم تُستثمر بالشكل الجيد لاستخراج أقصى كمّ من هذه القيم المبتوثة في ثناياها.
- الدروس التي تهدف إلى تمرير القيم العقديّة تحتاج طريقة خاصة، لاسيّما على مستوى التقويم.

¹علام (صلاح الدين محمود)، القياس والتقويم التربوي والنفسى أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 2، 2000، ص 176.

المصادر والمراجع

- أبو الحسين (أحمد بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، باب العين والفاء وما يماثلها، الجزء الرابع، 1979.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة (قوم)، الجزء 12، 2003.
- الجزائري (أبو بكر جابر)، عقيدة المؤمن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2، بدون تاريخ.
- الصادقي العماري (الصدقي)، التربية والتنمية وتحديات المستقبل: مقارنة سوسولوجية، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2015.
- الفرابي (عبد اللطيف)، وآخرون، معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، العددان 9 و10، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994.
- الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 2، باب الميم، فصل القاف، 1978.
- الكيلاني (ماجد عرسان)، فلسفة التربية الإسلامية، دار المنارة، وجدة، ط 1، 1987.
- بن الفوزان (صالح)، عقيدة التوحيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط 1، 1434هـ.
- بن زين الزبيدي (عبد الرحمن)، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، مركز الدراسات الأعلام، الرياض، ط 1، 1998.
- بن فارس بن زكرياء (أبو الحسن أحمد)، مقاييس اللغة، ج 5، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سورية، مادة (قوم)، 1979.
- خالد عباس (عبد الله)، أوامم مصطلح العقيدة وحقائق الإيمان دراسة تأصيلية، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، السودان، 2018.
- زيادة رضوان، و كيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 1، 2010.
- علام (صلاح الدين محمود)، القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 2، 2000.
- مجموعة من المؤلفين، الممتاز في التربية الإسلامية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2017.
- ناصر (عبد الكريم العقل)، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط 2، 1412هـ.
- وزارة التربية الوطنية، الكتاب الأبيض، الجزء 1، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية، المغرب، 2002.
- وزارة التربية الوطنية، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المغرب، أكتوبر 1999.